

## في مذكرات جسد متورم

### مقاربة سيميائية لتجربة السرطان عند عمار بلحسن

د. دليلة زغودي - مركز مغنية الجامعي -

ملخص: بوغت عمار بلحسن، فوجد نفسه مضطرا لكتابة مذكراته الشخصية -على عجل- فدونها بعد شفرات الألم المقطر المنبعث من ورم سرطاني ينهش الجسد.. فجاءت، في صورتها النهائية، كتابة بجسد متآكل، تأكلت معه الكثير من الكلمات؛ فوردت مبتورة، وطال التشويه الذي لحق بالخلايا صيغ كلمات أخرى فتشوهت، وانقطع تدفق سياقات عديدة .. كأنما مسها مغص ما فانكمشت متأوهة ، ولفّ بعضها الآخر تداع هذياني.. ارتبط، ربما، بجرعات المورفين ... وإلى ذلك كله، بدت اللغة ممزقة الأوصال كأن لغما انفجر فيها؛ وهي العبارة التي ترددت كثيرا في "يوميات الوجع" مكنيا بها عن الخلايا السرطانية المستفحلة في جسده.

فلم تدون يومياته، فيما دونته في النهاية، شيئا غير تاريخ الأنسجة المتداعية، ومسار تلف الأعضاء المتقرحة، وسيرورة تهاوي حصون المناعة وخبولهيب الحياة.. لتكون، في الأخير، سيرة جسد متسرطن. تحاول هذه المداخلة سميأة الورم السرطاني من خلال إخضاعه للمنظور السيميائي حول الجسد كما تبلور مع غريماس وفونطاني وزيلبرغ وجان كلود كوكي... لدراسة الخلخلة والتصدع الذي يلحق بالجسد المصاب فيقوّض الأكوان الدلالية للذات، ويعطل عمل المأل حاكما على السيرورة المنتجة للمعنى بالتوقف، وعلى انحسار آفاق المعنى بالتالي، كاشفا عن تسرب المعنى من بين يدي الذات ... وبالتالي تفلت أسباب اتصالها بالعالم [الإنساني]

الكلمات المفتاحية: الورم- الدلالة - الجسد - السيميائية - المحسوس

**Sommaire :** Ammar Bellahcene était surpris, et se vit forcé d'écrire ses mémoires- rapidement- Il l'a écrit avec la douleur distillée émis par une tumeur cancéreuse qui brise le corps...

Dans sa forme finale, il est venu par écrit avec un corps érodé; beaucoup des mots ont été érodés avec lui, ford est amputé, et la mutilation à long terme des lignées cellulaires.. d'autres mots a été déformée. Le flux de nombreux contextes a été coupé.. Comme si elle avait été infectée, et chacun d'eux est tombé dans un délire associé peut-être à des doses de morphine. La langue semblait déchirée comme si une mine avait explosé.. et c'est la phrase qui souvent citée dans **Journal de la douleur** utilisez-le comme Une métaphore

à propos des cellules cancéreuses qui prolifèrent dans son corps.

.. Pour être, dans ce dernier, la biographie du corps cancérigène .

cette article essaie de sémiotisation La tumeur cancéreuse en le soumettant à la perspective Sémiotique autour du corps comme était établi avec Greimas, Fantanille, Zilberberg et Jean-Claude Coquet... pour étudier la fissuration du corps enflé et détruit les univers sémantiques du soi, et perturbe le travail du devenir, arrête le processus productif du sens et diminuant ainsi les horizons du sens révéler la fuite de sens des mains de soi... Et ainsi échapper aux raisons du contact avec le monde [humanitaire].

**Les mots clefs :** le tumeur - la signification- le corps- la sémiotique- le sensible.

نص المداخلة:

❖ على سبيل التمهيد:

لقد وجد الجسد طريقه مجددا إلى الفلسفة والعلوم الإنسانية، وإلى المشهد الثقافي المعاصر ومظاهر الحياة المختلفة بعد أن غيبته الفلسفة الميكانيكية والآلية طويلا، ووارته التصورات العقلانية الديكارتية خلف حجب الكوجيطو الثقيلة لقرون<sup>1</sup> ... وإذا كان الفضل في هذه العودة يرجع، بالأساس، إلى الفلسفة الذاتية الحديثة عموما وفينومينولوجيا الجسد عند ميرلو بونتي خصوصا، فإن الموجة الجسدية قد عمت كل الحقول المعرفية على غرار العلوم المعرفية والعلوم المعرفية - العصبية وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والتاريخ... وصعدت أصواتها من خلال جملة من النظريات؛ تأتي على رأسها الجشطالت...

وغدا الجسد حضورا ساطعا يفرض نفسه وجوداً لا يمكن تخطيه في إدراك ودراسة كل مظاهر الوجود البشري من خلال تفاعل ما هو إنساني مع معطيات الكون.

واخترق هذا الحضور - منذ نهاية الستينات من القرن العشرين- المجالات العاكفة على ملاحقة الممارسات الإنسانية الدالة، واستكناه التجارب الجمالية، وأشعل فتيل الثورة على كل التصورات المفيدة إلى المنطق والصورة والشكلنة.. والمحتمية بجوار العقل الخالص أو اللوغوس . وكان الجهاز البنيوي بملحقاته أول من طالته يد ثورة الذاتية، فتراجعت، بسقوطه، جماليات التجريد والهيكلية والتعميم ..مخلية الساحة للمحسوس والمجرب والمكابد المنغمس في طراوة اللحم الحي. الذي يصنع الوجود الإنساني في الكون<sup>2</sup>

وفي الحقول المعنية بتقصي دلالة الكون الإنساني في علاقاته الداخلية والخارجية والبين ذاتية، انتصب الجسد ماردا يسيطر على مسالك عبور المعنى، ويحتكر الجسر الوحيد المفضي إلى التدليل؛ فلا يقوم إدراك خارجه ولا يتأسس وعي بدونه. وهذا بعد إقصاء طويل لكل معطى يشي بالجانب البدني أو الذاتي. ظل مبعث فخر للدراسات اللسانية وما تمخضت عنه من علوم دلالية مجدت العلمية والدقة والعقلانية ...

وكان بذلك أن اجتذبت الجسدية إلى ميادين البحث في الأنساق الدلالية والتواصلية، واتضح نبرة الجسد في اللسانيات مع مباحث التلفظ والتداولية، ووجد ميدان معرفي صاعد- يحمل على كاهله عبء تقصي عملية إنتاج الدلالة وتتبع سيروراتها في الخطابات المتنوعة<sup>3</sup> - في مواجهة مسألة الجسد؛ وهو الحقل السيميائي الذي قرر خوض المغامرة "البدنية"، واقتحام عوالم اللحم بأبعادها الحسية والحسية- الحركية، وإعادة صوغ الجهاز النظري كلياً\* على أساس مغاير تماماً للأساس البنيوي الذي قامت عليه. وقدمت مدرسة باريس نظرية متكاملة عن مركزية الجسد في عملية التدليل، حيث تشع سيميائياً، ووفق إجراءات وتصورات غاية في التفصيل والضبط المنهجي والمعرفي، مقولة قيام الوجود الإنساني في العالم على أساس جسدي، مقترضة من فينومينولوجيا ميرلو بونتي مفهومه العماد عن الجسد الخاص (le corps propre).

وقد اعتبر هذا الأخير أن الجسد أدواتنا لامتلاك العالم<sup>4</sup> لأنه وسيلة كينونتنا الدالة في الوجود<sup>5</sup> وواسطتنا لضبط أبعاد الزمان والفضاء<sup>6</sup>، وتكوين مفهوم عن الكون؛ ف "الوعي هو الوجود إلى الشيء بتوسط الجسد، نتعلم الحركة بعدما يفهمها الجسد، بعدما "يجسدها" ويدمجها داخل عالمه، وتحريك الجسد هو استهداف الأشياء من خلاله"<sup>7</sup>. وفق ما تنص عليه قصدية هوسيرل (l'intentionnalité).

وإذا كان للواقع، بأشياءه، وجود خارج الإنسان فإنه لا يوجد بالنسبة إليه خارج حدود جسده<sup>8</sup>؛ مادامت مفهمته مشروطةً بانقلابه إلى معطى داخلي عن طريق الجسد الخاص. وهو في حركته اتجاه العالم لا يكتفي "بالخضوع لنسقية الفضاء والزمن"<sup>9</sup> وإنما يقوم بفعل قصدي يعيد به خلقهما من جديد؛ عبر إسبال صفاته عليهما وتشكيلهما وفق تركيبته.

ففي مجال الرؤية مثلاً "عندما أرى شيئاً ليست الرؤية مجرد تلقي صورة المرئي بصورة سلبية، بل هي فعل إرادي تتدخل فيه عضلات العين وكل عضلات الجسم المشاركة"<sup>10</sup>، ما

يفيد أنه "لم يعد العالم الطبيعي هو الذي يتقدم نحو الذات، بل الذات هي التي تعلن امتلاكها للعالم، تمتلك مدلوله وتعيد تنظيمه تشخيصيا بطريقتها الخاصة"<sup>11</sup> إن اعتبار الجسد نواة المعنى عند ميرلوبونتي- بسبب مركزيته في عمليتي الإدراك والحس، و لكونه واجهة الإنسان في فعل الاتصال بالعالم- هو الذي يشكل أسس التصور الجسدي في السيميائية الجديدة. حيث تحوّل العالم إلى معنى أو لغة صار مشروطا بوجود جسد مدرك<sup>12</sup> يعمد إلى "تحسيس" (sensibilisation) معطيات هذا العالم لإكسابها دلالة<sup>13</sup> من خلال الشقّ البدني الحيّ؛ الممثل في الاستنباه الأصل (proprioceptivité).

وهنا تتبدى وضعية الوساطة بين ما ينتمي إلى الداخل الإنساني [الثقافي] وما يعود إلى الخارج الكوني [العالم الطبيعي]، إن الاستنباه الأصل (proprioceptivité) يربط بين الاستنباه الباطني (intéroceptivité) والاستنباه الخارجي (extéroceptivité) لصوغ الوجود السيميائي. وبالتالي يغدو الجسد الخاص الكيان الوحيد المشترك بين الأنا والعالم داخل تجربة الدلالة؛ أين يسمح التوسط الجسدي بين الداخل والخارج بعقد الصلة بين مستوى التعبير (ذي الأصل الخارجي) ومستوى المحتوى (ذي الأصل الداخلي) لإنجاز السيميوز (أو الوظيفة السيميائية)<sup>14</sup>

#### ❖ مذكرات جسد مريض:

دونت السير الذاتية والمذكرات الشخصية، منذ ظهورها، مواقف العجز والإحباط، ووثقت لحظات الانكسار والضعف، ولم يغفل الكثير منها حالات المرض الشديد العابرة أو القارة التي كانت سببا في الوفاة.. كما هي الحال في سيرة إدوارد سعيد "خارج المكان" مثلا... ولكن نذر الكاتب سيرته الذاتية كاملة للجسد المتآكل بالسرطان، وجعلها مذكرات خاصة بيوميات المرض وآلامه، وتتبع زحفه المطرد على المناطق الجديدة، هو ما يميز "يوميات الوجع"؛ فهي ليست سيرة حياة عمار بلحسن الممتدة على أربعين سنة، وإنما هي سيرة جسده المتسرطن؛ قد كتبت بدافع من المرض المباغت، وانصرفت إلى توثيق مراحل تمدد الورم الخبيث؛ لذلك اختارت أن تبدأ بتاريخ اكتشاف المرض يوم 10 أكتوبر 1992 في مستشفى عين النعجة العسكري، وأن تتوقف عند تاريخ 04 ماي 1993- الذي يمكن أن يشير إلى بلوغ مرحلة العجز عن الكتابة بسبب وصول المرض مرحلته النهائية-<sup>15</sup>

وعلى الرغم مما جاء في تضاعيفها من تهييج لذكريات الطفولة ومرابعها، إلا أنها وردت في سياق المرض ومقارنة أحواله بحالات الصحة الآفلة فحسب. فكانت، في الأخير، مذكرات توثق وقائع غدر الخلايا وثقل وطأة المرض على الأعضاء، وتحكي تفاصيل جرعات الدواء ومواعيد التحاليل والأشعة، والتنقل بين أسرة المستشفيات داخل الوطن وخارجه بحثاً عن العلاج .. وما يصاحبها جميعاً من آلام وهواجس وكوابيس، وما يلحق بها من خوف وتوجس من الموت المرتقب.

وإذا كانت السيرة الذاتية تؤرخ للحياة ككل، فقد أرخت يوميات الوجد لآلام الجسد ومحطات مرضه البارزة؛ وكانت محاولة ضبط التواريخ دقيقة إلى درجة تخصيص إحدى المذكرات لتسجيل "تواريخ المرض وأيام العشرة مع الألم – التاريخ المرضي للجسد" تم فيها تعداد سلسلة الأمراض التي أصابت جسده وتعيين تواريخ الإصابة بها: فعند " 12 سنة 1965/روماتيزم حاد...ثلاث (كذا)\* أشهر في المستشفى..التهاب الهيكل والعظام.

14 سنة 1967/ انفجار شظية في مواجهة وجهي..العين اليمنى تنقص، تمرض

23 سنة 1976/ عملية جراحية للعين فقدان حدة البصر الأيمن. ازدواج الصورة.

32 سنة 1985/ إصابة بمرض السل الرئوي ..علاج في البيت ستة أشهر. شفاء..ومعاناة..ضعف الجسد ..بداية ترحل وحرب

39 سنة 1992/ مرض جديد. قرحة معدة ضعف. ماء في الجوف، عملية جراحية واكتشاف ورم في معي الإثني (كذا) عشر في أغشية البطن[...]"<sup>16</sup>

ما يجعلنا نقرأ في هذه المذكرات محاولة التأريخ للجسد المشرف على التلاشي، وليس للحياة القصيرة والحافلة التي عاشها عمار.

#### ❖. المرض والدلالة:

لا يمكن القول إن الإنسان يمتلك جسدا وإنما الإنسان جسده؛ لأن هذا الأخير هو من "يجسد وجوده في العالم، وبدونه لن يكون"<sup>17</sup> -كما تشير الفينومينولوجيا- فهو مركز النشاط التديلي ومقر التجربة المحسوسة التي عليها عماد الإدراك و الوعي، ضمن إطار وحدة حضور داخل العالم تكفلها وضعية جسمية فاعلة وتامة بعيدة عن كل ما يمكن أن يمس بفاعليته وتمام حضوره؛ من مرض أو إعاقة أو اختلال عضوي...

حيث يقود الاضطراب الجسدي إلى اضطراب في التعامل مع الكون، يتعدل، تبعاً له، العالم الظاهراتي في منظور الإنسان المنقوص بعاهة أو مرض أو عجز... ويتخلل بالكامل<sup>18</sup> ، لأن

سعي الإنسان نحو العالم واستقصاده له ينطلق من رؤية متكاملة عن الذات، لا ترتضي وجود قصور يحرمها استيفاء عملية استقصاده والسيطرة عليه. فلا يكون المريض أو حامل الإعاقة ، أبداً، فاعلاً بحصة كاملة.<sup>19</sup>

ولهذا السبب، فإن الحضور الجسدي، بأجزائه وتفصيله، يكاد ينسى في حالات الصحة والسلامة حتى أنه يتخذ هيئة " حياة صامتة للأعضاء"<sup>20</sup> — كما يقول "رينيه لوريش". ويتأكد أن "الجسد معرفة لا يدركها سوى المريض!"<sup>21</sup> حيث الوعي به هو دوماً وعي أليم يتفتق في فترات التوتر<sup>22</sup> والاضطراب، ليمسي — أثناءها- " الجسد معرفة أليمة، معاناة قصوى، حقيقة أولية أصلية لا يدرك كنهها سوى المرضى"<sup>23</sup>. فيما تتخذ الوضعية السليمة والتامة في تجربة الدلالة هيئة شفافة لا تلفت الانتباه إلى نفسها، ينصهر، ضمنها، الجسد في عملية سميأة معطيات الوجود وسحبها إلى مناطق الدلالة [الإنسانية]؛ أين يختفي الاستنباه الأصل أثناء توسطه بين الاستنباه الداخلي والاستنباه الخارجي، وتتصدر الواجهة، الدلالة المنبثقة عن هذا اللحم.

بينما يعيده المرض والاختلال إلى الواجهة ويعطيه حجمه الحقيقي. بل يتضخم ويحجب غيره وإذذاك؛ تتعطل عملية التوسط وينقطع حبل السميأة المتصل، وتتمزق الوحدة التي كانت تغني الحضور على صعيد التفاعل مع أشياء العالم، من جهة، مخلفة غرق أكوان الدلالة في السديم، وعلى صعيد التصور الجسدي من جهة أخرى؛ حيث تجربة الألم هي تجربة انفصال وقطيعة تهدد وحدته وكيئته وتجعل احتواء العضو المتألم داخل الجسد مرفوضاً وتبقيه غريباً، في الوقت الذي تستقبل فيه اللذة كجزء من الكينونة يتم التقاطع معه ويصهر داخل الجسد الخاص<sup>24</sup>، نظراً لأن: «ازدواجية الألم تمزق الحضور، بينما تغنيه ازدواجية اللذة ببعده جديد»<sup>25</sup>.

والازدواجية التي يستتبعها السرطان، في يوميات الوجع، هي ازدواجية استثنائية لا تشتت الوحدة فحسب، بل تقسم الذات إلى شقين، وتحدث شرخاً في الكينونة، تجعل عمّار ينكر جسده ويتهمه بالخيانة؛ "سافرت وعرفت العالم ولكن الجسد خانني..."<sup>26</sup>

وتنقل طرفي الجدل بين الذات والعالم إلى جدل ذاتي ينقلب فيه الجسد إلى طرف ضديد، إلى عدو خطير حاد عن دوره في ربط الذات بالعالم، وصار وسيلة لتبديد الوجود وإفناء الحضور: "معركة مع نفسي ، مع جسدي... هل يعقل أن يكافح الإنسان ضد جسده ضد خلاياه وأنسجته وأعضائه وشريانه ولحمه ودمه"<sup>27</sup>..

فالجسد الذي كانت تناط به مهمة إدراك الوجود [الغامض] وتحويله إلى معنى [مفهوم] يغدو مادة غامضة تستعصي عن الإدراك حين يحوّل الاهتمام إلى نفسه، وهو الذي لطالما اكتفى بدور المعبر والممرّ، حتى أنه يدفع إلى التساؤل: "من أي أبجدية عجن الجسد ومن أي مادة خلقت مواده الأولية [...]؟"<sup>28</sup> فالجسد المتضخم يختزل الوجود كله فيه. وبعد أن كان فعل الإدراك مشروطاً به، نجده في، حال السرطان، لا يتخطاه إلى غيره بعد أن غطى، بغيريته، ما عداه، وظل مهتماً يقف منه عمار حائراً بعد أن أفلت من إدراكه، يتبتل في محرابه تارة ويلعنه تارة أخرى إنه "عالم مهول، غريب، مدهش، مقدس، ذاك هو الجسد، الجسم!"<sup>29</sup> كما أنه "كافر، وقاهر ومستبد..."<sup>30</sup> أيضاً.

إن مفهوم "أنا جسدي" الذي تنبني عليه عمليات الإدراك والوعي والحسّ المؤسسة للوجود الإنساني في هذا العالم يُورث، هنا، وضعا شقيّاً؛ تتصدع فيه الذات وتتشقّق تلقائياً: "السرطان هو انتحار ذاتي للجسد!"

لماذا تتمرد الخلايا، هل تحدث ثورات دموية في الجسم أيضاً!

كل ثورة تهديم، وثورة الجسد قيامة!"<sup>31</sup>

لذلك خصص الكتاب للجسد وحده، الجسد المريض، وإلى جانبه استحضرت أجساد المرضى من العائلة؛ جثة الأب، وجسد العم، وعيون الأخ العمياء... يقول في المذكرة الأولى: "آه يا جسدي، أتعبتني يا جسدي، أخاف أن لا أستطيع كتابة نصك ونص أجساد من أحببت، ومن نمت وحلمت بهم"<sup>32</sup>

❖. اللغة المتورمة:

تتخذ الكتابة السير ذاتية منحي إبداعيا، في العادة، حتى وإن كان عهد صاحبها بالكتابة موضوعيا أو علميا، فتنتقى لغتها بعناية، وتنقح أساليبها ويزرع في تضاعيفها عنصر التشويق لاستحلاب فضول المتلقي، ولكن "يوميّات وجع عمار بلحسن" جاءت خالية من الأناقة، وبدت مشوشة، مضطربة لم تدقق لغتها، ولم يراجع أسلوبها، ويبلغ الأمر بها، أحيانا، حد عدم إكمال الفكرة، وترك بقيتها معلقة في الفراغ.. فكأنها كتبت هكذا من وحي الألم وتقلبات الأوجاع، ولم يسعها تغطية الشحوب الأسلوبية، ولا استطاعت مواارة التقرحات التركيبية كما لم تكن بوضع يسمح لها بالتوقف طويلا عند الذخيرة المعجمية لتفجير احتمالاتها في اللعب النصي...

إنها لغة تسبح في مدارات فردية مغلقة تكاد تخرج عن رمزيها العقلية لتدخل حقل الحسّ والطبيعة، لأنها لغة الجسد أولاً وليست لغة الفكر. و"أن تكتب في أغلال المرض وزنازين الجسد..معناه أن تكون..وأن تكون معناه أن تتعذب..في كل حرف أو جرة قلم وتغميسة حبر تسقط شريحة من نسيجك أوجلدك.."33؛ فهي لا تعنى بالمشترك الرمزي بقدر عنايتها بالعالم الذاتي الخاص الذي تقلص فجأة وانحصر في أعضاء الجسد؛ حيث "ينسى المريض العالم، يصبح العالم جسده!"34. فتضخم هذا الأخير جعله العالم كله. تغرب العوالم الثقافية المعرفية أيضاً من المتن السيري، مغيبة معها كل ما له علاقة بتخصص عمّار، واهتماماته الفكرية، وكتاباتة، وجدالاته الإيديولوجية المعروفة، وتختفي رؤاه الفكرية التي نصادفها، عادة، في فن المذكرات الشخصية، بل تخلو اليوميات حتى من الأحداث التاريخية والحوادث الهامة التي كانت تشهدا الجزائر في تلك المرحلة الصعبة.. ويبقى صوت الجسد وحيدا هادرا تعلوه ضجة انفجار الخلايا، وأهات الألم التي ترددت في المتن مرارا، مع الأنين المكتوم لأب يشفق على أطفاله من ارتجاف الحضور وغصّة الذكرى...

فالجسدية (corporéité) متى ما منحت الصوت، تقدم الحسّ وتراجعت المعرفة، ووضحت نبرة الطبيعة مغطية بحة الثقافة العاملة عند ذات تُختَضِر.

#### ❖ من الجسد الذاتي إلى جسد العالم:

إن وعي الانفصال عن الوجود في تجربة السرطان، وتقطع أسباب اللحام التدريجي بين الذات- المريضة والعالم ( حيث تمدد الخلايا السرطانية يوازيه تقلص في أهلية الجسد للقيام بدور الوساطة وتحقيق الشرط الأساس للكينونة وبناء كون دال) يدفع الذات إلى تبني مفهوم "الجسد الرمزي"؛ الذي تشتغل عليه تقاليد الاستشفاء في الطب الشعبي؛ وهي تقاليد ترتكن إلى مقولة اتحاد الجسد بالعالم وانعدام الفواصل بينهما؛ مرجعاً الوضع البشري، برتمته، إلى وصاية الكون<sup>35</sup>، في سعي حثيث لـ"إغناء الوجود بذرة رمزية"<sup>36</sup>، وعمار بلحسن يندفع في هذا السبيل، إثر استفحال الداء، ويتجه إلى الطب الشعبي، يذكر في يومياته ذلك قائلاً "قصدت عشابا؛ طبيا شعبيا في قرية القنفوذ\* منازل عروبية (كذا) متناثرة، دور من الحجر والطوب مرسية (كذا) في ظهر علي مقران أو الظهردي على مقران\*\* كما يطلق عليها ناس البلاد، يدعى العشاب، وهو رجل زين، حلو وحكيم الكلام، يقرفص

وسط بيت من الحجر والطوب بيت عربي، بدون إسمنت، فقط رائحة التراب والحجر والبيطافه<sup>37</sup>

واختيار هذا الحيز الفضائي بالذات للتطّيب يتمّ، هنا، مشروع الجسد الرمزي المنشود؛ فهو الفضاء الأصلي؛ مسقط الرأس وموطن الأجداد، حتى أنه يعرّج في رحلة العلاج هاته على مقبرة قريته ويقف على قبور أجداده في استحضار رمزي لهم: "وكان أجدادي الأوائل بدأ (كذا) من الشيخ حتى محمد الكبير حتى الجد الجفورور... ينامون قدام عيني الدامعة وأنا أقف على تراهم الطيب في مقبرة سيدي الحاج عبد الله قاصدا طبيبا شعبيا عشابا بقرية القنفود لعل أعشاب بلدي تلوين والقنفود ونكهات تراب وطني وحشائش وأشجار وأزهار وطني الأول، مسقط ومنهض رأسي تشفي جسدي العليل"<sup>38</sup>

إن استحضار الأصول العرقية يلحق الجسد الخاص [المريض] بأجساد الأسلاف ويوحده بهم فيتبدد العنت الفردي ويدوب في الجماعي، أين يتمدد الجسد المفرد على الرقعة الجماعية للأجساد الأصلية ويعيد وحدته المشروخة من خلال الجسد بين الذاتي (intersubjectif)؛ أو الجسد المشترك: "كنت واقفا، أقرأ فاتحة القرآن العظيم على أرواحهم لم أكن وحدي، كانوا معي وكان جسدي مرتاحا. هي ذي رائحة الأجداد وحنانهم، ضمات صدورهم لجسدي المتعب المريض، حنان أكتافهم العريضة لرأسي العيان"<sup>39</sup>

وإلى جانب الوحدة واللحمة - السليبة- التي يكفلها هذا التوحد والاشتباك، يلفت انتباهنا انشداؤه للموتى دون الأحياء من بني قرابته، بما قد يعزى لاتحاد الأوائل النهائي بالطبيعة وتحولهم إلى عناصر أولية تسري في جسد العالم، إذ يضرع وهو يقف على قبورهم ويجهر بالقول: "إلهي، جنّت مملكوت وأرض أجدادي باحثا عن شفاء لجسدي وبلسم (كذا) لجسمي هاأنذا، واقفا( كذا) ، أحمل ألف(كذا) وخمسين عشبة، أعشاب يسكنها كلس ولحم ودم وثرى أسلافي، يسري في نسغها أملاح ومياه أجدادي وجداتي وسلالتي"<sup>40</sup> في مسعى للاستمساك بالعناصر الأساسية للوجود وتحقيق الاتحاد معه قصد إنقاذ فعل الاتصال المتقهقر.

ويبدو التركيز واضحا في المقاطع السالفة على عنصر "التراب" بالخصوص، حيث الارتياح إلى منزل الطوب الذي يقطنه "العشّاب" والعناية بتراب المنطقة التي ينتهي إليها، إلى جانب ثرى الأسلاف في القبور... يشي بحنين إلى عنصر التكوين وخميرة الخلق، ضمن تقاليد استشفائية تقليدية تؤمن بأن الإنسان والعالم يتركبان من المواد الأولية نفسها<sup>41</sup>

عدا عن ذلك فإن الانغراس الإثني، والعودة إلى الجذور البدئية، أين تقع مرحلة "الماقبل" (l'archè)، تحمل الإشارة إلى الرغبة في ولادة جديدة، والتطلع إلى التجدد والانبعاث؛ عبر العناصر الأنثروبومورفية ومعطيات الفضاء الأصلي الأول المتداخلة؛ "عدت باحثا عن حرارة الولادة والهوية"<sup>42</sup>، وعن بديل "للزمن الهارب والموت الداهم"<sup>43</sup> داخل هذه الأبدية الساكنة، ووسط هذه الأجساد [الأصلية] التي حققت اتحادها النهائي مع العالم.

الهوامش:

<sup>1</sup>. لوبروتون. دافيد: أنثروبولوجيا الجسد والحدثة، ت. محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط.1، 1993. ص.ص. 66-69.

<sup>2</sup>. Merleau - ponty . M , phénoménologie de la perception, Paris, Gallimard, 1945, p.52

<sup>3</sup>. ينظر؛ غريماس. أ.ج - فونطاني. ج: سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس،

ت.بنكراد. سعيد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010. ص.55

\*.أرست السيميائية نظريتها على مبادئ بنيوية عقلانية، وأقصت البعد الذاتي .. وعندما اضطرت

لإدراج هذا البعد الملغى من حساباتها، في النظرية الجديدة حول الأهواء، استلزمها المشروع تعديلا

شاملا للتصورات والمفاهيم والمبادئ التي تقوم عليها نظريتها في الدلالة. للتفصيل: ينظر؛

- غريماس. أ.ج - فونطاني. ج: سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ص.45.

<sup>4</sup>. Merleau - ponty . M , phénoménologie de la perception, Paris, Gallimard, 1945, p.171.

<sup>5</sup>. نفسه، ص.97.

<sup>6</sup>. نفسه، ص.119.

<sup>7</sup>. نفسه، ص.161.

<sup>8</sup>. نفسه، ص.274.

<sup>9</sup>. الزاهي. فريد: النص والجسد والتأويل، أفريقيا الشرق، لبنان- المغرب، 2003، ص.30.

<sup>10</sup>. لحكيم بناني. عز العرب: الجسم والجسد والهوية الذاتية، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد4

المجلد 37، أبريل- يونيو 2009 ص.103.

<sup>11</sup>. غريماس وفونطاني: سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، دار الكتاب الجديد

المتحدة، بيروت، ط1، 2010، ص.17، ص.64.

<sup>12</sup>. نفسه، ص.57.

<sup>13</sup>. نفسه، ص.58.

<sup>14</sup>. ينظر؛

- Fantanille.J, Soma et Séma : figures du corps , Maisonneuve et Larose , paris, 2003, p.21.

- <sup>15</sup> . ينظر: بلحسن .عمار: يوميات الوجع، منشورات ANEP، الجزائر، د.ط، 2005، ص.05 وص.166.  
\* . ورد الخطأ في المتن، ونظرا لكثرة الأخطاء في الكتاب سأكتفي بالتنبيه إليها، لدى مصادفتها، بوضع كلمة (كذا) بين قوسين؛ كما تقتضي قواعد المنهجية الأكاديمية.
- <sup>16</sup> . بلحسن .عمار: يوميات الوجع، منشورات ANEP، الجزائر، د.ط، 2005، ، ص.34.  
<sup>17</sup> . لوبروتون : الجسد والحادثة، ص.151.
- <sup>18</sup> . Merleau - ponty . M ; La structure du comportement, PUF, Paris, cinquième édition, 1963, p.204.
- <sup>19</sup> . لوبروتون : الجسد والحادثة، ص.142.  
<sup>20</sup> . السابق ، ص.121.  
<sup>21</sup> . يوميات الوجع، ص.156.  
<sup>22</sup> . ينظر؛ لوبروتون : الجسد والحادثة، ص.92.  
<sup>23</sup> . يوميات الوجع، ص.158.
- <sup>24</sup> . Chantal .J , Le corps, Presses Universitaires de France , Paris, 2001, p.197 .  
<sup>25</sup> . لوبروتون : الجسد والحادثة، ص.92.  
<sup>26</sup> . يوميات الوجع، ص.35.  
<sup>27</sup> . يوميات الوجع، ص.97.  
<sup>28</sup> . نفسه، ص.133.  
<sup>29</sup> . نفسه، ص.ن.  
<sup>30</sup> . نفسه، ص.35.  
<sup>31</sup> . يوميات الوجع، ص.156.  
<sup>32</sup> . يوميات الوجع ، ص.06.  
<sup>33</sup> . يوميات الوجع، ص.42.  
<sup>34</sup> . يوميات الوجع، ص.156.  
<sup>35</sup> . ينظر؛ لوبروتون: الجسد والحادثة ، ص.83.  
<sup>36</sup> . نفسه؛ ص.82.
- \* القنفوذ: قرية صغيرة ترقد عند أحد سفوح جبال منطقة مسيردة بأقصى الشمال الغربي لولاية تلمسان
- \*\* . ظهر علي مقران : قرية أخرى تقع في المنطقة ذاتها. والقريتان تقعان بجوار قرية الكاتب "تليوين"
- <sup>37</sup> . يوميات الوجع، ص.129.  
<sup>38</sup> . يوميات الوجع ، ص.129.

<sup>39</sup> نفسه، ص.129.

<sup>40</sup> .يوميات الوجع، 130

<sup>41</sup> .. ينظر؛ لوبروتون، الجسد والحدثة، ص.82.

<sup>42</sup> .يوميات الوجع ، ص.130

<sup>43</sup> .ماي.جورج: السيرة الذاتية، ت. القاضي. محمد وصولة .عبد الله، رؤية للتوزيع والنشر، القاهرة،

ط.2017، 01، ص.9

#### مكتبة المداخلة:

- بلحسن .عمار: يوميات الوجع، منشورات ANEP، الجزائر، د.ط، 2005.
- الزاهي. فريد: النص والجسد والتأويل، أفريقيا الشرق، لبنان- المغرب، 2003.
- غريماس وفونطاني: سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010.
- لحكيم بناني. عز العرب: الجسم والجسد والهوية الذاتية، مجلة عالم الفكر، الكويت ، العدد4 المجلد 37 ، أبريل- يونيو 2009 .
- لوبروتون .دافيد: أنثروبولوجيا الجسد والحدثة ، ت. محمد عرب صاصيلا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط.1 ، 1993.
- ماي.جورج: السيرة الذاتية، ت. القاضي. محمد وصولة .عبد الله، رؤية للتوزيع والنشر، القاهرة. ط.01، 2017.

-Chantal .J , Le corps, Presses Universitaires de France , Paris, 2001

- Fantanille.J, Soma et Séma : figures du corps , Maisonneuve et Larose , paris, 2003.

-Merleau - ponty . M , phénoménologie de la perception, Paris, Gallimard, 1945

- Merleau - ponty . M ; La structure du comportement, PUF, Paris, cinquième édition, 1963